الشعر والشعراء

بحث انتقادي ادبي

لخائيل نعيمة

ما هو الشعر ومن هو الشاعر

كلنا نتكلم عن الشعر · بعضنا يوءلهه ، والاخر يعشقه ، والثالث يقرضه ، والرابع يقتات ويتنفس به · هذا يشحذ ذاكرته بالمعلقات والموشحات والحماليات واللاميات ، يرددها في وحدته ويتلوها عَلَى مسمع اصحابه · وذاك يكتب القصيدة بعد القصيدة ويستعد لان ينشر درر افكاره في « ديوان » ولا ديوان ابي الطيب · والاخر ، الذي لم يعلمه ابواه « الف · باء » يصنف عَلَى « المعنى والقرادي والمرصود » او يتغنى بذاك « المو"ال » او هذا البيت من العتابا · كلنا نعشق الشعر — فصيحاً كان او عامياً — ولا بدع فنحن من سلالة قوم « هم · هم · اذا مات منهم شاعر قام شاعر »

كلنا نتكلم عن الشعر كأننا نعرف ما هو الشعر كما نعرف ما هو الخبز والماء والثوم والبصل · ولو اجتمعت زمرة من عشاق الشعر بيننا لتتحدث عن الشعر لوجدتها مبلبلة الالسن · هذا يعني بالشعر كلاماً موزوناً مقفى ، وذاك بيتاً واحداً من القصيد ، والاخر لا يحسب شعراً كل ما يقدر القارىء عَلَى فهمه دون ان يلجأ الى القاموس

جهلنا معنى الشعر الحقيقي ومنزلته في عالم الاداب قد اوصلنا الى ما نحن فيه الان من كثرة « النظامين » وقلة الشعراء ، وغنانا بالقصائد وفقرنا

بالشعر . لذلك ساحاول هنا ان آتي على بعض ما قاله اكبر شعراء اوروبا وناقديها في تعريف الشعر تاركاً للقارىء ان يقابل بين هذا التعريف وذاك ويختار ما يوافق ذوقه وادراكه وامياله

اللورد مكولي ، في مقالته عن ملتن ، يعرف الشعر هكذا . « نحن نعني بالشعر فن استعمال الكلمات بطريقة تحدث ايهاماً في المخيلة .» لكن مكولي لم يكن شاعراً . فلنسمع ما يقوله الشاعر عن فنه . « شلي » يخبرنا ان الشعر هو « سجل اسعد دقائق في حياة اسعى العقول واسعدها » كذلك . «الشعر مرآة ترينا القبيح والمعوج جميلاً ومتناسباً . والقصيدة هي صورة الحياة بعينها معبر عنها بحقائق ابدية » وايضاً . « الشعر يرفع النقاب عن جمال العالم الخفي ويجعل الاشياء المألوفة ان تظهر كأنها غير مألوفة .» وماثيو ارنولد يرى في الشعر مزية جديدة ويعرفه هكذا « الشعر هو كمال اللغة البشرية . فيه يقترب الانسان من الحق ويتجاسر ان يفوه به . » اما « كولوريدج » فيرى في الشعر « انتقاء اجمل الكلمات وتنسيقها احسن تنسيق » ودجونسون يدعو الشعر « اختراعاً » وسيمونيدس اليوناني يعرف الشعر « كصورة ناطقة » و«فالته» يسميه « فناً وضعياً مادته اللغة » . لكن ملتن يذكرنا ان « القصيدة الحقيقية هي تمثال مركب من احسن واشرف ما في العالم » وبيلينسكي — شيخ الناقدين الروسيين — يعرف الشعر « كدقات نبض الحياة العالمية ودمها وناره ونورها وشمسها » وايضاً « كجوهر الحياة بل الحياة نفسها .»

والآن لو ألقينا نظرة سطحية على هذه التعاريف لوجدناها ، مع كل ما فيها من الاختلاف الظاهر في التعبير ، تدور حول نقطتين جوهريتين · قسم منها ينظر الى الشعر من جهة تركيبه وتنسيق عباراته وقوافيه واوزانه · والآخر يرى في الشعر قوة حيوية ، قوة مبدعة ، مندفعة دائماً الى الامام · والشعر في الحقيقة ليس الاول وحده ولا الثاني فقط ، بل هو كلاهما · الشعر هو غلبة النور على الظلمة ، والحق على الباطل · هو ترنيمة البلبل ونوح الورق · وخرير الجدول وقصف الرعد · هو ابتسامة الطفل ودمعة الثكلى · وتورد وجنة العذراء وتجعد وجه الشيخ · هو جمال البقاء وبقاء الجمال · الشعر — لذة التمتع بالحياة ، والرعشة امام وجه الموت · هو الحب والبغض ، والنعيم والشقاء · هو صرخة البائس وقهقهة السكران ولهفة الضعيف وعجب القوي · الشعر — ميل جارف وحنين دائم الى ارض لم نعرفها ولن نعرفها · هو انجذاب ابدي لمعانقة الكون باسره والاتحاد مع كل ما في الكون من جماد ونبات وحيوان · هو الذات الروحية تتمدد حتى تلامس اطرافها اطرافها الذات العالمية · وبالاجمال ، فالشعر هو الحياة باكية وضاحكة ، وناطقة وصامتة ، ومولولة ومهللة ، وشاكية ومسبحة ، ومقبلة ومدبرة

الشعر رافق الانسان من اول نشأته وتدرج معه من مهد حياته حتى ساعته الحاضرة · من الهمجية الى البربرية الى البداوة الى الحضارة الى مدنية القرن العشرين تمشت الانسانية والشعر سميرها ومعزيها ومشجعها ومقويها · رافقها ويرافقها في الحل والترحال ، والعمل والبطالة ، والبؤس والرخاء ،

والحرب والسلم ، والوفرة والقلة · تعرفه ابرة الخياط وسطرقة الحداد وزاوية البنّاء ومنجل الحاصد ومحراث المزارع · تعرفه خلوات النساك وقصور الملوك واكواخ الفقراء · تعرفه القلوب المنكسرة المجردة من افراح هذه الدنيا ، والقلوب المفعمة بملذات العالم وشهواته · تعرفه روح العذراء وروح المومسة · تعرفه العيون الدامعة والعيون الضاحكة والوجوه الشاحبة والوجوه الباسمة · اعراسنا ليست كاملة الا به ، وامواتنا لا يلحدون دونه · ترنيمة واحدة ترسل الجندي الى محافر الفناء كأنى عرس · ونشيد واحد يخفف عَلَى النوتي حربه مع اللجة المزمجرة والامواج المتطـاحنة · ترنيمة مثل « تبراري » تدفع الوفاً فوق الوف من الرجال الى مقابلة الموت وجهاً لوجه · ونشيد وطني ، في بلاد تدرك معنى الوطنية ، يستخرج من صدور النسآء والرجال — صغاراً وكباراً — هتاف المجد والحبور والاستعداد لتضحية المال والعقار والارواح · « موّال » لا ندري في قلب من اختمر ولسان مَن نطق به اولاً يردده اباؤنا ونلحنه نحن بعد مئات من السنين · وبيت من العتابا بليت عظام قائله من اجيال يخترق سكينة وحدتنا ويحرك ألسنتنا · فتخفق قلوبنا اما حزناً واما فرحاً · ويختلس من اعيننا دمعة او دموعاً او يبسط عَلَى اوجهنا ابتسامة اللذة والسعادة · قصيدة انشأها منذ عشرات من القرون بدوي يدعى امرؤ القيس او عنترة او المهلهل او قيس العامري نطالعها اليوم فنعجب بها ونطرب وتهتز عواطفنا · نحفظ ابياتاً مختلفة من قصائد مختلفة ونرددها بين الاونة والاخرى كأنها من بنات افكارنا او مستودعات

قلوبنا · نسعى وراء غاية ما ولا ننالها فننشد

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لاتشتهي السفن

او نصادف في الطريق صديقاً سوّد اليأس قلبه وبدل النور في عينيه ظلاماً ، خانه دهره فاصبح يمقت يومه ويخاف من غده ، فنعزيه بقولنا ·

دع التقادير تجري في اعنتها ولا تبيتن الا خالي البال

ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

او نسمع غبياً يفاخر باجداده واجداد اجداده فنذكره بقول الشاعر

لا تقل اصلي وفصلي ابداً انما اصل الفتى ما قد حصل ·الخ

ولو وقفنا لنعدد الابيات التي تناقلتها الالسن فاصبحت جزءاً من حياة الشعب اليومية لضاق بنا المقام

ولماذا نردد هذا البيت او تلك القصيدة او ذاك « الموّال» ونترك جبلاً من القصائد التي لو قرأناها مرة لشكرنا ربنا عَلَى نجاتنا بالسلامة ؟

لان هذه الابيات والقصائد « والموّالات » أما تفسر لنا الحياة بتعبيرها عن حالات نفسانية نشعر بها ونعجز عن سكبها في قالب من الكلام · واما تنقش في مخيلتنا صورة نحب ان نتمتع بجمالها كما نحب ان ننظر الى وجه جميل وبدر تام وشمس تغرب وزهرة في المرج تنحني مع مرور النسيم · نحب كذلك موسيقى اللفظ وسلاسة التركيب وفساحة التعبير كما نحب ان نصغي الى تموجات الاثير التي ترسلها اوتار كمنجة اذ يلامسها القوس في يد استاذ ماهر · كلنا —لاسف الكثيرين بيننا — لم نخلق شعراء ولم

نُعطَ موهبة ترجمة لغة القلوب والارواح والطبيعة · لذاك كثيراً ما نضطر ان نعبر عن عواطفنا وافكارنا واحساساتنا بألسنة الغير · كلنا لسنا موسيقيين ومصورين ، لذاك نضطر من وقت الى آخر ان ندع الاخرين يقومون بسد حاجاتنا الموسيقية والفنية اجمالاً — اذا كنا نشعر بمثل هذه الحاجات عَلَى الاطـلاق ·

عبثاً حاول تولستوي وسواه ان يحطوا من مقام الشعر وينزلوه من مملكته الالهية الى مملكة النسيان والخمول · عبثاً نددوا به فعظموا آفاته وصغروا محاسنه ونهوا عن صرف الوقت في قرضه · ما دام الانسان انساناً ، ما دام فيل ميل فطري نحو الفناء ان كان في الحزن او الطرب ، وما دامت اللغة واسطة لتصوير افكاره والتعبير عن عواطفه وآماله ، سيبقى الشعر حاجة من حاجاته الروحية · لانه في الشعر يجسم احلامه عن الجمال والعدل والحق والخير · وفيه يرسم الحياة التي تعشقها روحه ولا تراها عيناه ولا تسمعها اذناه حواليه بين اقذار العـالم ودأبه اليومي وهمومه الصغيرة ومشاكله الكبيرة ·

اذن — تسألونني — هل الشعر خيال فقط وتصوير ما ليس كائناً كأنه كائن ؟

وانا اسألكم بدوري — ما هو الفرق بين الحقيقة والخيال وهل من حد فاصل بينهما ؟ انتم واقفون عَلَى ربوة تشرف عَلَى البحر ، تراقبون من هناك كيف تبتلع الامواج سلكاً بعد سلك من اشعة الشمس المنحدرة ·

بينكم وبين البحر غابة محدودة الاطراف من الصنوبر والارز والسنديان ·
في اسفل الربوة وادٍ تراكمت فيه الصخور بعضها فوق بعض ؛ تجري بينها
مدمدمة مياه جدول صغير · نهر الذهب المكوّن من اشعة الشمس المتلاشية
ترون باخرة يتصاعد منها عمود من الدخان الى قلب الفضاء · الشمس والبحر
والغابة والوادي والباخرة قد اصطفت في مخيلتكم بهيئة صورة متناسبة
الالوان والخطوط ، قماشها الافق واطارها الفضاء · الصورة تسحركم
بتناسبها ودقة ترتيبها ودهنها وتناسب النور والظل فيها · هي حقيقة ام
خيال ؟ — اذا قلتم لي حقيقة فاسمحوا لي ان اذكركم بالافعى التي التفت
على صخرة بالقرب منكم وقد امسكت بين فكيها ضباً تحاول ان تزدرده
عشاء يومها · او بالثعلب الذي انزوى بين الصخور القريبة منكم ودمه يسيل
من رصاصة اصابته من يد الصياد · او بالديدان التي تتململ في بُرَك الماء
المنتنة في الوادي · هل عددتم الاشجار في الغابة وميزتم الارز من الصنوبر
والسنديان من البلوط ؟ هل رأيتم العوسج الملتف على جذوع هذه الاشجار؟
وبالاجمال هل رأيتم كلما مرّت اعينكم فوقه من رأس الرابية الى خط
الافق وجعلتموه جزءاً من الصورة التي تتمتعون بجمالها ؟ كلا · ولماذا ؟
أليست كل هذه التفاصيل جزءاً من الحقيقة التي امامكم والتي تتمكنون
من رويتها لو شئتم ؟ — نعم · ولكن صورتكم كاملة بدونها ، وجمالها
في انها مركبة من جمال المجموع لا تفاصيل المفرد ·

أهي خيال او وهم اذن ؟

كلا · فليست وهماً ولا خيالاً بل حقيقة محسوسة · انتم لم تبدعوا الربوة ولا الغابة · ولا اختلقتم البحر ولا الشمس ولا الفضاء ولا الجدول · كل ذاك رأيتموه وشعرتم بوجوده · ولكنكم قد قابلتم وميزتم ، ونبذتم واخترتم ثم رتبتم ما اخترتموه في نسبة معلومة كانت نتيجتها الصورة التي رسمتها لكم المخيلة · جرى ذاك كله وانتم لم تغيروا حقيقة الموجودات لم « تخلقوا » شيئاً انما اخذتم ما وجدتموه في الطبيعة فطرحتم منه وزدتم عليه ، وبدلتم في ترتيبه حتى حصلتم عَلَى ما طلبته واحبته انفسكم

وهكذا يفعل الشاعر الخيالي · اذا سمعتموه يتغزل بجيل ذهبي · بجيل لا اثر فيه للظلم والبغض والفقر والحسد والنزاع والموت الخ · بجيل يسود فيه الحب والعدل والاخاء والمساواة وهلم جرا — فلا تنعتوه بالجنون والكذب والوهم · هو لم يخلق الحب ولم يوجد العدل ولا سبّب الفقر ولا قال للموت كن فكان · هو قد وجد هذه الصفات والاحوال في العالم عند زيارته هذا العالم · لكن روحه التي تعشق الجميل وتنفر من القبيح قد وضعت هذه الصفات في نسبة جديدة غير التي نراها سائدة في حياتنا اليومية · وتغيير النسبة هو اختلاق الشاعر الذي ندعوه « خيالاً » · لكن خيال الشاعر حقيقته · والشاعر الذي يستحق ان يدعى شاعراً لا يكتب ولا يصف الا ما تراه عينه الروحية ويختمر به قلبه حتى يصبح حقيقة راهنة في حياته ولو كانت عينه المادية احياناً قاصرة عن رؤيته · ذاك لا يعني ان الشاعر يقدر ان يدعو الاسود ابيض والاحمر اصفر — وأعني ان يعري

الاشياء الحقيقية عن ميزاتها الطبيعية ويعطيها صفات من عنده داعياً ذلك « خيالاً » . كلا . وهذا كل الفرق بين الشاعر والشعرور . الشاعر لا يصف الا ما يدركه بحواسه الجسدية او يلامسه بروحه وقلبه . لسانه يتكلم من فضلة قلبه . اما الشعرور فيحاول ان يقنعنا انه حلم احلاماً نحن نعلم علم اليقين انها لم تمر له براس لا في النوم ولا في اليقظة . ويصف لنا عواطف لم يشعر بمثلها لا بشر ولا جن ولا ملاك من اول وجود هذا العالم حتى اليوم. لذلك تهزنا اشعار الاول فنحفظها ونرددها . وتضحكنا « قصائد » الثاني فنضرب بها عرض الحائط .

وما الغاية من الشعر ؟

قوم يقولون ان غاية الشعر محصورة فيه ولا يجب ان تتعداه (الفن لاجل الفن) وآخرون ان الشعر يجب ان يكون خادماً لحاجات الانسانية وانه زخرفة لاثمن لها اذا قصر عن القيام بهذه المهمة . ولهذين المذهبين تاريخ طويل لا نقدر ان نأتي عليه هنا ، ولا غاية لنا ان نبحث في حسنات كل منهما وسيئاته . انما نكتفي ان نقول ان الشاعر لا يجب ان يكون عبد زمانه ورهين ارادة قومه . ينظم ما يطلبون منه فقط ويفوه بما يروق لهم سماعه. واذا كان هذا ما يعنيه اصحاب المذهب الاول فلا شك انهم مصيبون . لكننا نعتقد في الوقت نفسه ان الشاعر لا يجب ان يطبق عينيه ويصم اذنيه عن حاجات الحياة حوله وينظم ما توحيه اليه نفسه فقط سواء كان لخير العالم او لويله . وما دام الشاعر يستمد غذاء لقريحته من الحياة فهو لا يقدر —

حتى ولو حاول ذلك — الا ان يعكس اشعة تلك الحياة في اشعاره فيندد هنا ويمدح هناك ويكرز هنالك · لذلك يقال ان الشاعر ابن زمانه ، وذلك صحيح في اكثر الاحوال ان لم يكن في كلها ·

والان بعد ان بحثنا ، ولو سطحياً ، في الشعر ، لنقف ونسأل —

من هو الشاعر ؟

الشاعر نبي وفيلسوف ومصور وموسيقي وكاهن · نبي لانه يرى بعينه الروحية ما لا يراه كل بشر · ومصور — لانه يقدر ان يسكب ما يراه ويسمعه في قوالب جميلة من صور الكلام · وموسيقي — لانه يسمع اصواتاً متوازنة حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجعجعة العالم كله عنده ليس سوى آلة موسيقية عظيمة تنقر عَلَى اوتارها اصابع الجمال وتنقل الحانها نسمات الحكمة الابدية · هو يسمع موسيقى في ترنيمة العصفور وولولة العاصفة ، وزئير اللجة وخرير الساقية ، ولثغ الطفل وهذيان الشيخ ، الحياة كلها عنده ليست سوى ترنيمة — محزنة او مطربة — يسمعها كيفما انقلب لذلك يعبر عنها بعبارات موزونة رنانة · الوزن والتناسب في الطبيعة اخوان لا ينفصلان وبغيرهما « لم يكن شيء مما كوّن » · والشاعر الذي تعانق روحه روح الكون يدرك هذه الحقيقة اكثر من سواه · لذلك نراه يصوغ افكاره وعواطفه في كلام موزون منتظم · خذوا الوزن من الشاعر تسلبوه فنه · ذلك لا يعني اننا يجب ان نقيد الشاعر بقافية واحدة كالقافية العربية · الوزن ضروري — لان الشعر بغير الوزن ليس شعراً — اما القافية فليست

من ضروريات الشعر · عندنا اليوم جمهور من الشعراء يكرزون « بالشعر المطلق » ولكن سواء وافقنا « والت هويتمان » وتباعه ام لا فلا مناص لنا من الاعتراف بان القافية العربية السائدة الى اليوم ليست سوى قيد من حديد نربط به قوائح شعرائنا — وقد حان تحطيمه من زمان

واخيراً — الشاعر كاهن لانه يخدم الهاً هو الجمال المجرد · هذا الاله يظهر له في ازياء مختلفة واحوال متنوعة · لكنه يعرفه اينما رآه ويقدم له تسابيح حيثما احست روحه بوجوده · يراه في الزهرة الذاوية والزهرة الناضرة · يراه في حمرة وجنة الفتاة وفي اصفرار وجه الميت · يراه في السماء الزرقاء والسماء المتلبدة بالغيوم · في ضجة النهار وسكينة الليل وبالاختصار ان روح الشاعر تسمع دقات انباض الحياة وقلبه يردد صداها ولسانه يتكلم « بفضلة قلبه » · تتأثر نفسه من مشهد يراه او نغمة يسمعها فتتولد في رأسه افكار ترافقه في الحلم واليقظة فتمتلك كل جارحة من جوارحه حتى تصبح حملاً يطلب التخلص منه · وهنا يرى نفسه مدفوعاً الى القلم ليفتح مجالاً لكل ما يجيش في صدره من الانفعالات وفي رأسه من التصورات ولا يستريح حتى يراها قد انسكبت في جدول من الالفاظ والانغام · كلما كتب عبارة يشعر انه قد خفف بعض حمله ولا يستريح تماماً حتى يأتي عَلَى آخر قافية فيقف هناك وينظر الى ما سال من بين شفرتي قلمه كما تنظر الام الى الطفل الذي سقط من بين احشائها · امامه فلذة من ذاته وقسم من كيانه

الشاعر — ونعني به الشاعر لا « النظّام » — لا يأخذ القلم في يده الا

مدفوعاً بعامل داخلي لا سلطة له فوقه . فهو عبد من هذا القبيل . لكنه سلطان مطلق عندما يجلس ليجعل من احساساته وافكاره تمثالاً من الالفاظ والقوافي لانه يختار منها ما يشاء . فيختار الاحسن اذا كان من المجيدين او ما دون ذلك بالتدريج حسب قواه الفنية والادبية . اما «النظّام» فيأخذ قلماً وقرطاساً ثم يبدأ بوخز دماغه وقريحته علّه يتمكن من ان يهيجهما ولو قليلاً . غايته لا ان يترجم عن عواطف او ان يعبر عن افكار بل ان « ينظم قصيدة » . لذلك اذا خدعنا هذا بطلاوة نسقه فلا يطول ان نكتشف تصنعه وخداعه فننساه وننسى قصيدته . اما الشاعر الذي يسقي قلمه من قلب طافح وروح هائجة فربما لا نفهمه اليوم ولا نهتم به ؛ لكن لا بد ان نفيق غداً وندرك هفوتنا لان الجمال كالشمس — لا يختفي . وحينئذٍ نسرع لنكفر عن اساءتنا الى ذاك الشاعر ولو بعد موته . فنعلي مقامه ونقيم له التماثيل ان لم يكن عَلَى ملتقى الطرق او في ساحات المدن ففي قلوبنا تختلج عند مطالعة ما جاد به قلمه . هذا ما جرى لشكسبير وكثيرين سواه من كبار الشعراء والكتاب . لكن شكسبير لم يمت ولن يموت . اما الوف « النظّامين » الذين حازوا شهرة وقتية عن غير استحقاق فلا نسمع بهم ولا نذكرهم ؛ واذا ذكرناهم ففي سبيل التفكهة فقط .

اكثرنا نولد وفينا ميل فطري الى الشعر . والشباب هو قصيد الحياة وربيعها : الذي تنبثق فيه قوى الروح وقوى الجسد من بين اكمام الصبا يحرك فينا هذا الميل فنتوهم اننا شعراء ونبدأ نحلم بشهرة الشعراء العظام .

تأخذ القلم و« تنظم» ونحسب كل قافية يجود علينا بها القاموس « درة فريدة » . هذه حكاية قديمة كالدهر يقصها عليكم تلاميذ المدارس في كل اقطار الارض . لكن هذه القصائد الصبيانية تولد والموت لها بالمرصاد فلا تتعدى دائرة محصورة من الزمان والمكان . ربما تلاها مؤلفوها على مسمع والديهم أو اقاربهم او اصدقائهم . ثم يطرحونها مع بقية تذكارات الصبا وشوق الشباب ؛ ذاك عند الشعوب التي تميز الشاعر من« الشعرور» . اما عندنا فكل من ظن انه شاعر لا يكاد ان ينظم اول قصيدة حتى ترى الجرائد والمجلات قد فتحت صدرها لها وأعدّت لمؤلفها القاباً تتراوح بين « النابغة » و « الشاعر العصري المجيد » . افقر الشعراء عندنا ، اذا لم يكن نابغة ، فهو على الاقل « شاعر عصري مجيد »

انا لا ألوم فتىً مغروراً بنفسه يظن انه شاعر وليس شاعراً ولذلك ينظم وينظم وينظم . كلنا نحب ان نتصور انفسنا ارفع واحسن واجمل مما نحن في الواقع . وقول اليازجي « كل يعد نفسه نعمَ الفتى » كان حقيقة في عهد عاد وثمود ولا يزال حقيقة حتى هذه الساعة وسيبقى حقيقة الى ان يصبح الانسان الهاً . انما الوم من يزيد هذا « الشاعر »غروراً بنفسه . الوم الصحافي والوم الناقد اللذين لا يدركان الى الان ان الشعراء الحقيقيين كانوا ولا يزالون اقل من القليل . هؤلاء الاخيرون يولدون والشعر طبيعة غريزية فيهم . اما « النظّامون » -- وماذا اقول فيهم بعد ؟ بينهم من لو درس حرفة الخياطة لبرع فيها . وبينهم من لا يجاريه احد في مسح الاحذية . وبينهم من

لا نظير له في بيع الفجل والبصل والمرطبات وله صوت في تلحين « بورد يا عطشان » ولا تغريد البلبل · وبينهم من لا يشق لهم غبار في كتابة الصكوك وتسجيل الحجج · وبينهم من هم ولا شك نوابغ في بيع الكشة والطرق على الابواب · لكنهم لا يدركون ذلك — وهذه هي مصيبتنا الكبرى فيهم · اذا لمحت اليهم بلطف « اعطوا الخبز لخبازه · والخياط لو قنبازه » يجيبونك انهم قد درسوا ذاك منذ حداثتهم · واذا نصحت لهم كأخ مخلص ان يرحموا ادمغتهم ويستعملوا وقتهم لعمل انفع من صيد القوافي الشاردة استشاطوا غضباً ودعوك طفيلياً تتدخل فيما لا يعنيك · وافهموك بلغة لا تحتمل التأويل انهم ينظمون الشعر لانهم يعشقونه ، وانهم شعراء ويعرفون انهم شعراء · فما لنا الا ان نقول لهم · « بارك الله لكم بما تملكون وما تنظمون · اما نحن فعلينا واجب مقدس نقوم به امام انفسنا وامام بنينا وبناتنا · وذاك ان نقدم لانفسنا ولهم غذاء روحياً صالحاً لا فاسداً · وان نعطيهم من الشعر اجوده لا اقبحه · لذاك نستميحكم عذراً ان ندعو الاشياء باسمائها · ولذاك « لا تؤاخذونا » اذا ميزنا بينكم وبين الشعراء فدعونا ما تكتبونه « صف كلام » وما يكتبونه شعراً و « فناً ! »

مخائيل نعيمه